

## يا مقتدى يا مقتدى

العراقية في أسوأ أحوالها. من أين تأتي له أن يكون ممثل الفقراء وهو يقود جمهورتين، جمهرة القتلة وجمهرة الفاسدين؟

الدهش أنه يتخذ قرارات غيبته باطمئنان وثقة. لا يخاف أن يُشطب أو يُمحن أو يتم إقصاؤه أو عزله أو الانقلاب عليه. غفل إبراهيم الجعفري ذات مرة وكان زعيم حزب الدعوة فانقلب نوري المالكي عليه.

لقد شق كثير من المجرمين عصا الطاعة على مقتدى فوجدوا أنفسهم مضطرين إلى العمل خارج معسكره والبحث عن غطاء إيراني. هل يكفي أن إيران تقف وراءه ليمارس العابه التي يعتقد أنه من خلالها يضلل مريديه وخصوصه في الوقت نفسه؟ لا طبعاً. كم مرة انسحب من العملية السياسية وأغلق باب بيته وأنهى علاقته بتخليصه المسلح الذي ارتكب أشنع الجرائم إبان الحرب الأهلية ثم استعاد تلك العلاقة المبنية على نهب المال العام والابتزاز والقرصنة. وكل ما فعل شيئاً رده إلى تقررزه من الفساد فيما تمارس جحافل الصديريين مختلف أنواع الفساد في الوزارات التي صارت حصة صديرية.



**مقتدى الذي تم دفعه إلى منصب الزعامة من غير أن يملك أدنى مؤهلاتها لا يزال بالرغم من مضي أكثر من ثمانية عشر عاماً هو ذلك الصبي المدلل الذي يكرهه أركان البيت السياسي الشيعي ولا تطيق أعمدة الحوزة الدينية سماع اسمه غير أن أحداً لا يملك القدرة على شطبها**

يبدو كما لو أنه طفل في العابه غير أن القوة التي ترعاه تنظر إليه باعتباره رجل الساعة وكل ساعة، في إمكانها أن تفعل من خلاله ما تشاء. هناك مائة إعلامية خفية عملت متسجمة مع الطريقة التي يفكر من خلالها الناس عاطفياً. صار مقتدى جزءاً من الموروث الديني الذي لا يُناقش. فالرجل ليس مقفعا في أدنى مقاييس المنطق. غير أن كل شيء يمكن أن يحدث إذا استندنا إلى منظور الدين الشعبي. مقتدى خرافة أميركية يمكنها أن تتسجم مع عصر الفن الشعبي الأميركي أو الأغنية الريفية الأميركية. وفي ذلك يتفوق مقتدى السياسي على مصطفى الذي لم يكن سياسياً ولا حقيقته تهمة السياسة. وإذا ما أردنا أن نكون منصفين فإن مصطفى قد ظلمه الواقع، فيما لا يزال مقتدى يلعب بالحقائق وهو يعرف أن لا أحد سيطارده مثلما طورد مصطفى.



تسويق الصدر جرى بطريقة متقنة

فاروق يوسف  
كاتب عراقي

عام 1961 انتشرت بين الشباب العربي أغنية تقول لازمتها التي تتكرر بمرح "يا مصطفى يا مصطفى/ أنا بحبك يا مصطفى" لحنها محمد فوزي بأسلوب الفرانكو أرب. وكثرة الكلمات الأجنبية في الأغنية ظن الكثيرون أنها ذات أصول يونانية وتم تعريبها. كان فوزي قد اختار لحناً مستلهماً من الموسيقى الشعبية اليونانية. وكان من أسباب انتشار صيت يا مصطفى إضافة إلى خفتها المستحدثة أن النظام المصري قام بمنعها بعد أن تم تأويلها سياسياً، حيث قيل يومها إن مصطفى المقصود في الأغنية هو مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد الذي كان يُحسب على النظام الملكي. تذكرت اللحن الطريف للأغنية حين وجدتني أردد "يا مقتدى يا مقتدى" بعد أن سمعت خطاب الزعيم الديني - السياسي العراقي مقتدى الصدر وهو يعلن انسحابه من الانتخابات المقبلة. طغى اللحن على الفكرة التي تدعو إلى السخرية وإلى الخفة بل وإلى الاستخفاف. لا أقصد أن هناك من يستخف بالرجل الذي قفّر فجأة إلى الصف الأول من سياسي العراق الجديد بسبب إرث ديني رث ولا قيمة له على مستوى المؤسسة الدينية التي يُقال إن والد مقتدى كان أحد أعمدتها، وإن آل الصدر الذين يمثلهم الفتى اليتيم كانوا في مقدمة شهدائها حين قاتلوا ضد الاستبداد وتصدوا له مدافعين عن حق الشعب في الحرية والعدالة.

كل ذلك كلام ينطوي على الاستخفاف بالعقول وتزوير التاريخ. المهم أن مقتدى الذي تم دفعه إلى منصب الزعامة من غير أن يملك أدنى مؤهلاتها لا يزال بالرغم من مضي أكثر من ثمانية عشر عاماً هو ذلك الصبي المدلل الذي يكرهه أركان البيت السياسي الشيعي إضافة إلى أن أعمدة الحوزة الدينية لا تطيق سماع اسمه، غير أن أحداً لا يملك القدرة على شطبها أو تجاوزها أو عدم اعتباره رقماً صعباً في العملية السياسية. وإذا عدنا إلى التاريخ القريب فما من أحد يكره مقتدى مثلما يكرهه نوري المالكي الذي حاربه مرتين غير أنه لم يستطع أن يبال منه أو يضعفه. ضعف المالكي مع الوقت فيما ازداد مقتدى قوة. ليس لمقتدى أي كاريزما تفسر شعبيته. علينا أن نصدق أن الرجل جرى تسويقه بطريقة متقنة. فهو على المستوى الشخصي رجل جاهل، يكاد يكون أمياً. وهو معدوم الموهبة، لا يتكلم عن أي شيء بخبرة. وهو بعيد كل البعد عن السياسة والدين، أن تنصت إليه فإنك تسقط في مستنقع الفضيحة

## مصر بين مشروعين.. أميركي - أوروبي وروسي - صيني

أزمة سد النهضة تختبر متانة علاقات القاهرة مع القوى الكبرى



الحلف التقليدي مع واشنطن الأقرب بالنسبة إلى القاهرة

أكثر تماسكا بفيد في مد أجل الحسم والمناورة لتعظيم الفوائد. وقادت هذه الحسابات إلى زيادة نسبة الشكوك لدى القوى الرئيسية، فكل تقدم تحرزه مصر باتجاه روسيا في ملف تجد مقابله خطوة إلى الوراء، وهكذا مع الصين والولايات المتحدة وغالبية الدول الأوروبية، وبدلاً من أن تجد مصر الجميع حلفاء لها قد تستيقظ وتجد أن لا حلفاء حقيقيين لها تعول عليهم في مساندة قضاياها وتخفيف شواغلها.

وتيقنت القوى الرئيسية أن الطريقة التي تدير بها مصر علاقاتها الخارجية تنطوي على قدر من التردد، ليس مردوده الإخفاق في الحسم بقدر الرغبة الكبيرة في توسيع دوائر العلاقات والفوائد أو عدم خسارة أحد، فكل دولة تقبض على مفاتيح معينة مؤثرة في التفاعلات الإقليمية، وهو ما انتهت إليه قوى متباينة وحرمت القاهرة من جني مكاسب من وراء الانفتاح المتعدد. تضع معظم القوى الدولية عينها على القاهرة بحكم الجغرافيا السياسية والتاريخ والدور وتحرص على توثيق العلاقات معها وفقاً لمنظومة من المصالح المتبادلة، وجاء التكالب عليها في لحظة تولدت فتاعات لدى كل جهة أنها قادرة على استمالة قياداتها إليها، والتي بدت حريصة على ذلك بدون تفرقة بين شرق وغرب.

أقتربت لحظة المواجهة وبات على مصر القيام بقدر محسوب من الاستدارة لحسم رؤاها الخارجية، لأن الإصرار على تشكيل رؤية خاصة بها تنطلق من فكرة الانفتاح على الجميع ثبت أنها غير مجدية في ظل معالم تجري بلورتها على الساحة الدولية سوف تؤدي إلى فرز عميق حيا من مع من.

وتتزايد صراعات المصالح بين قوتين، الأولى تقودها الولايات المتحدة ومعها معظم الدول الأوروبية، والثانية ناجمة عن التحالف الصاعد بين روسيا والصين، وكل جبهة تجتهد في سحب بعض القوى من الأخرى لتقوية نفوذها، ما يجعل الدول المترددة أو التي تحاول الحفاظ على درجة من الاستقلالية عرضة لمزيد من الاستقطابات الفترة المقبلة. وتعتبر مصر في مقدمة الدول التي أصبحت في مركز الشد والجذب ما يدفعها إلى حسم مسألة الانحياز. ويتبدو التصرفات المصرية التي صاحبت حرب غزة الأخيرة أنها تميل

إلى اختيار والمفاضلة، لأن الانفتاح على الجميع والصدائقة مع جهات متعارضة والمحافظة عليها بنى عن المكونات المتحركة في بؤصلة العلاقات الدولية، ويسبغ استمراره شكوكاً لدى القوى المختلفة في أي دولة ترى بإمكانها مواصلة حلقات التوازن إلى مدى بعيد.

## صراع المصالح

جاء أول اختبار عملي لعلاقات مصر مع القوى الكبرى في أزمة سد النهضة الإثيوبي، حيث تأكد لها أن التحالف الاستراتيجي الظاهر مع كل من روسيا والولايات المتحدة والعلاقات الجيدة مع الصين وغيرها كلها عناصر ليست منتجة في الأزمات الإقليمية، حيث مالت تقديرات الدول الثلاث إلى دعم موقف أديس أبابا في جلسة مجلس الأمن التي عقدت بشأن مناقشة أزمة سد النهضة. قد يتسكك البعض في التوجهات المصرية مع القوى الكبرى وأنها تعبر عن خيالات سياسية وحسابات غير دقيقة لكن المسألة لها جوانب أخرى، بعضها يتعلق برؤية السياسة المصرية نفسها والية إدارة العلاقات الدولية، والبعض الآخر يخص رؤية الأطراف المقابلة ورهاناتها الإقليمية.

وتولد شعور في العقل المصري أن حركة عدم الانحياز يمكن أن تبعث من جديد في القرن الواحد والعشرين، وهو زمن مختلف عن الذي ظهرت فيه نواتها الأولى في منتصف القرن العشرين، ومع ذلك لم تتحقق كاملة آنذاك، حيث تحولت أدبيات عدم الانحياز إلى انحياز كبير، فما بالك في عالم تتغير وتتحوّل وتتصارع وتتصارع فيه المصالح بصورة سريعة. لم تغب حصيلة هذه التصورات عن ذهن صناع القرار في القاهرة، لكنهم ربما رأوا أن هناك فرصة لإقامة معادلة متوازنة غير منحازة لفترة يمكن فيها ترتيب الأوضاع وصياغتها بشكل

تختبر الأزمات الإقليمية التي تمر بها مصر مدى متانة علاقاتها مع القوى الإقليمية الكبرى وذلك أعقاب التصعيد الإثيوبي الأخير مع إعلان أديس أبابا الماء الثاني لسد النهضة إضافة إلى دورها في الملف الفلسطيني واللبي وبقيّة ملفات الشرق الأوسط الساخنة، ويؤكد المتابعون أن فك شفرة هذه الأزمات يستدعي من القاهرة سياسة خارجية واضحة والحسم بين مشروعين أميركي - أوروبي وروسي - صيني لإعادة التوقيع في خارطة الدولية.

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري

استفادت مصر كثيراً من السبيلة التي ظهرت معالمها في النظام الدولي الفترة الماضية وتمكنت من الانفتاح على قوى في الشرق والغرب وتوقيع أوضاعها بما حقق قدراً كبيراً من مصالحها الحيوية خلال فترة حرجية مرت بها البلاد بدت فيها علاقاتها الخارجية شبه مقطوعة مع عدد من الدول عقب عزل الرئيس الإخواني الراحل محمد مرسي. وظهرت ملامح جديدة تقول إن مرحلة الرواج انتهت أو على وشك، فما جنته القاهرة من مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية أو ما حققته من تخفيض في سقف الخسائر كان نتيجة ظروف استثنائية من بها النظام الدولي وانعكست على الشرق الأوسط، واعتقدت كل قوة فاعلة أنها تستطيع جذب مصر بمكانتها الجيوستراتيجية إليها.

**إذا أرادت مصر تحقيق انطلاقاً كبيرة وفك شفرة أزماتها الإقليمية الحالية عليها أن تحسم موقفها بشأن رؤاها الخارجية**

لذلك كانت هناك مرونة في التجاوب مع المطالب المصرية خاصة في ما يتعلق بالصفقات العسكرية التي لها طقوس معقدة تتجاوز مسألة الأيديولوجيات المعروفة بين غرب وشرق، وتصل إلى مستوى تسويق الأسلحة واختبارها على الأرض، وكل ذلك يخرج ضمن حزمة دقيقة ولا يتم بشكل عشوائي. وهو ما جعل البعض يتصور أن القاهرة سوف يأتي عليها الوقت